الاكديون : دورهم في « المنطقة »

الدكتور فاضل عبدالواحد علي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

تعريف بالموضوع :

قبل احدى وعشرين عاما نشر الاستاذ ادزارت كتابه القيم والموسوم «العصر الوسيط الثاني في بلاد وادي الرافدين»[1] وبطبيعة الحال فانه ،يفترض ضمنا وجود عصر وسيط اول . وبالنسبة للاستاذ ادزارت فان « العصر الوسيط » يعني ، ضمن اشياء اخرى ، فترة تتميز بالدرجة الاولى بالتجزئة السياسية للقطر وبظهور وحدات أو دويلات سياسية متعددة يعاصر بعضها البعض الاخر . وبتعبير آخر يكون العصر الوسيط فترة ركود وانحلال سياسي تعقب فترة وحدة شاملة . وقد افترض المؤلف وبحق ، ان سلالة كيش الاولى التي حكمت في حدود (٢٨٠٠ ق.م) كانت من اولى السلالات في بلاد بابل التي نجحت في تحقيق الوحدة الداخلية للقطر . ولابد لنا من التنبيه هنا الى ان سلالة كيش هذه تمثل اقدم الاشارات المدونة في النصوص المسمارية الى وجود قبائل الجزيرة العربية في النصف الجنوبي من وادي الرافدين . اذ من المعروف ان اثنى عشر ملكا من ملوك هذه السلالة البالغ عددهم ثلاثة وعشرين كانوا يحملون اسماء جزيرية (أي الجزيرة العربية)[2] . ولنا ان نفترض بطبيعة الحال ان زمن استيطان هذه القبائل الجزيرية في وادي الرافدين سبق هذا التأريخ بقرون طويلة علما ان سلالة كيش تعتبر اول سلالة حكمت بعد الطوفان مباشرة بموجب قائمة الملوك السومرية .

ومهما كانت الانجازات التي حققتها سلالة كيش الاولى فانها تبقى ضمن حدود القطر في الغالب ان لم تكن ضمن سهله الرسوبي (بلاد سومر) على وجه الخصوص . صحيح ان بعض الملوك والامراء من سلالة اور الاولى ولكش الاولى تلقبوا بلقب « ملك كيش » ، على الرغم من انهم كانوا يحكمون في دويلات ليست لا علاقة بهذه المدينة وذلك اعتزازا منهم بالمجد الخالد الذي حققه ملوك هذه السلالة الاخيرة[٣] ، الا اننا مع ذلك لا نعرف الا النزر القليل عما انجزه ملوك سلالة كيش الاولى في هذا المضمار لقلة المصادر الكتابية . ومع ذلك فان جاز لنا ان نفترض ، ولنا بعض الحق في ذلك ، ان ملوك سلالة كيش الاولى نجحوا في انجاز وحدة البلاد فان ذلك لم يترك زخما وثقلا على « المنطقة » بالقدر الذي تركته منجزات الاكديين في هذا المضمار .

بقى علينا ان نذكر ان « العصر الوسيط الثاني » الذي قصده الاستاذ ادزارت والذي اغناه بحثا وتحليلا ومراجعا هو العصر المعروف بـ « عصر ايسن لارسه » الذي اعقب سقوط امبراطورية اور الثالثة (عام ٢٠٠٦ ق.م) والذي تجزء القطر بعده الى دويلات وممالك عديدة مثل سلالة ايسن ولارسه ومملكة اشنونا ومملكة ماري والمملكة الاشورية والذي انتهى في حدود (١٨٩٤ ق.م) بقيام سلالة بابل الاولى الشهيرة .

خلاصة الموضوع :

في رأينا ان الاكديين وهم من أقدم قبائل الجزيرة العربية التي نجحت في تعزيز وحدة القطر وفي اقامة اول امبراطورية في الشرق الادنى القديم ، كانوا يدركون كل الادراك اهمية فتوحاتهم العسكرية . وخير دليل على ذلك ان تلك الفتوحات اتخذت تحقيق أهداف مرسومة ومحددة . فالاكديون اعتبروا منطقة الخليج العربي امتدادا طبيعيا لامبراطوريتهم[٤] وعرفوا اهميتها التجارية ومناجمها المعدنية . وتحسسوا في الوقت نفسه بالاخطار التي كانت تهدد كيانهم من الشرق والشمال الشرقي حيث تستوطن قبائل معادية لهم مثل الكوتيين واللولوبو . وقد ورثوا ايضا التجارب المريرة لاسلافهم السومريين في

مقدار ما تشكله عيلام (جنوب غربي ايران) من خطر بالنسبة لهم • اما باتجاه الشمال والغرب فقد كان من الضروري بالنسبة لهم ان تنفتح الطرق امامهم للحصول على المعادن وضمان مسيرة القوافل التجارية • وعلى هذا النحو يكون الاكديون من الاوائل الذين ادركوا الاهمية «الاستراتيجية» للمنطقة في المفهوم المعاصر ضمانا لسلامة القطر على ضوء ما يحيط به من قوى معاصرة كانت تتمثل انذاك بسلالات او ممالك •

وقد افاد البابليون والاشوريون والكلدانيون من التجربة الاكدية فلم يبقوا مكتوفي الايدي امام قوى الصراع في الشرق الادنى القديم • ولهذا اعتمدوا سياسة بناء جيش ضارب له القدرة على الاضطلاع بكبح جماح الطامعين وضرب الاحلاف العسكرية وفك الحصار الذي كانت تفرضه القوى المعادية لشل الحياة التجارية والاقتصادية[٥] • ولا نعتقد اننا بحاجة الى الاتيان بامثلة • فالامبراطورية البابلية ومن بعدها الاشورية ومن بعدها الكلدانية تمثل بعناوينها البارزة خير دليل على تبني هذا الاتجاه •

الاكديون :

من المعروف ان عصر فجر السلالات ، وهي الفترة الممتدة من حدود ٢٨٥٠ ــ ٢٤٠٠ ق•م تتميز بسيادة السومريين سياسيا وعسكريا في جنوبي وادي الرافدين وان البلاد كان يغلب عليها التجزئة السياسية التي تمثلت بالعديد من دويلات المدن • ويمكن القول ان رقعة النفوذ السياسي لتلك الدويلات كانت تمتد من أقصى جنوبي القطر الى مدينة كيش (تل الاحيمر حاليا) وهي المنطقة التي اطلق عليها السومريون انفسهم اسم (Ki-en-gi) بلاد سومر •

ومن المعروف ايضا ان السومريين استطاعوا في عصر فجر السلالات وضع اللبنة الاولى لاقامة حضارة عريقة في هذه المنطقة من بلاد وادي الرافدين عندما توصلوا ، ضمن اشياء كثيرة ، الى اختراع الكتابة كوسيلة للتدوين ، والابداع في مجالات الفنون المختلفة كصناعة الاختام الاسطوانية والتماثيل

والدمى والحلي الفضية والذهبية • وكان لهم اسهام مشهود في ميدان الادب وفن العمارة والطب وكثير من العلوم والمعارف • واليهم يعود الفضل ايضا في وضع وبلورة المعتقدات الدينية وكثير من الافكار التي تتعلق بخلق الكون والانسان وبالمفاهيم والنظم السياسية والاجتماعية والقانونية •

غير ان سيادة السومريين على البلاد والمتمثلة ، كما قلنا ، بدويلات المدن انتهت على يد زعيم اسمه سرجون الذي استطاع فرض سيطرته على البلاد وتوحيد دويلات المدن ومن ثم اقامة امبراطورية واسعة الارجاء عرفت بالامبراطورية الاكدية نسبة الى مدينة اكد التي اتخذها عاصمة له •والاكديون الذين تزعمهم سرجون في اقامة الامبراطورية الجديدة هم من قبائل الجزيرة العربية التي استوطنت في بلاد بابل في عصر مبكر جدا ، ربما منذ الالف الرابع قبل الميلاد •

وقد عاش هؤلاء جنبا الى جنب مع السومريين وتفاعلوا معهم قبل ان يتمكنوا من الاستيلاء على دفة الحكم •

وخلافا للسومريين الذين ما يزال اصلهم واصل لغتهم مجهولين لحد الان، فان الاكديين يمثلون واحدة من اقدم هجرات قبائل الجزيرة الى وادي الرافدين • كما ان لغتهم تعود في اصولها الى عائلة لغات الجزيرة التي تفرعت الى فروع منها الاكدية والبابلية والاشورية والعربية والعبرانية والارامية (وهي التي تسمى باللغات السامية) •

ومن الجدير ذكره هنا اننا نهمل في دراستنا الحالية المصطلح المتداول « الساميون » الذي لا يستند على اساس تاريخي مقبول وسوف نستعمل بدلا منه « قبائل الجزيرة » او « الجزيريين »[٦] للاشارة الى تلك القبائل التي كان موطنها الاصلي جزيرة العرب والتي كانت تتكلم لغات او لهجات تعود في اصلها الى لغة واحدة هي لغة الجزيرة ، والتي كانت ايضا تتشابه ، الى جانب ذلك ، بجمله من السمات التاريخية والحياة المعاشية والاعراف والتقاليد والقوانين وفي المعتقدات الدينية •

اما المناطق التي كانت تستوطنها القبائل المتكلمة بلغة الجزيرة فانها كانت تشمل في العصور التاريخية القديمة ، جزيرة العرب واطرافها الشمالية كالصحراء السورية وما يعرف بالهلال الخصيب • وقد اضطرت هذه القبائل ، ولاسباب مختلفة وفي فترات مختلفة ايضا • الى هجرة مواطن استيطانها والنزوح ثم الاستقرار في المناطق المتحضرة من بلاد وادي الرافدين والاراضي السومرية والفلسطينية •

ومما تجدر ملاحظته اننا عندما نتكلم عن قبائل الجزيرة فاننا لا نعني بطبيعة الحال انها كانت تستوطن المناطق الصحراوية الجرداء • بل على العكس من ذلك فان تلك القبائل كانت تتنقل في بوادي الهلال الخصيب وفي حواف الجزيرة العربية طلبا للمراعي • ولنا ان نتصور ان حركتها في التنقل كانت بطيئة قبل ظهور الجمل في المنطقة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد • ولا شك في ان القبائل البدوية كانت على اتصال دائم بالقرى الزراعية والمدن المتحضرة حيث كانوا يتزودون بين حين وآخر بالحبوب والتمور والادوات وحتى السلاح[٧] ويحصل احيانا ان يستوطن عدد من الافراد او عائلة برمتها في قرية او مدينة فتمتهن الزراعة وتربية الاغنام والماشية وهناك شواهد تاريخية كثيرة على ان القبائل البدوية هذه كانت تشكل احيانا خطرا على السلطات الحاكمة في المدن وكثيرا ما نسمع ان قبلية معينية او حلفا من قبائل عديدة هاجمت المراكز المتحضرة ونجحت في الاستيلاء عليها وفي استيطانها •

وبقدر ما يتعلق الامر بوادي الرافدين فان هناك من الادلة الكتابية ما يشير الى ان قبائل الجزيرة كانت موجودة في العراق في عصر مبكر جدا • فهناك اسماء اعلام ترد في وثائق عصر فجر السلالات تدل بصورة واضحة على ان اصحابها كانوا جزيريين أي من غير السومريين ، كما تم العثور على عدد من النصوص التي دونت باللغة الاكدية • ويستدل من التوزيع الجغرافي للمواقع الاثرية التي وجدت فيها اسماء الاعلام هذه على ان الاكديين كانوا منتشرين في رقعة واسعة نسبيا وانهم ، وان كانوا قليلين بالنسبة للسومريين في الجنوب ،

لكنهم كانوا يتمتعون بالقوة والنفوذ في المنطقة التي كانت ضمن حدود مملكة كيش (تل الاحيمر) • ومن المعروف ان عددا من ملوك هذه المملكة ، التي قامت فيها اول سلالة حاكمة بعد الطوفان ، كانوا يحملون اسماء جزيرية • ويتضح من النصوص المسمارية ايضا ان هؤلاء الجزيريين كانوا يؤلفون الجزء الاكبر من سكان شمالي القطر • ومعلوم ان الاقسام الوسطى من وادي الرافدين ، ابتداء من مدينة نفر في الجنوب وحتى خط هيت ــ سامراء شمالا اصبحت تسمى « بلاد اكد » منذ زمن سرجون الاكدي والازمان اللاحقة •

كان هؤلاء الاكديون يتكلمون اللغة الاكدية التي هي فرع من فروع لغة الجزيرة الام ، كما انهم استخدموا في كتابتها الخط المســـماري الذي استنبطه السومريون من قبل • ثم ان وجود الاكديين جنبا الى جنب مع السومريين ادى بطبيعة الحال الى تأثرهم بالحضارة السومرية • ففي نطاق اللغة استعار الاكديون كثيرا من الكلمات والمصطلحات السومرية كما يجد الباحث في الوقت نفسه ان هنالك كثيرا من المفردات في اللغة السومرية ذات اصل اكـدي • وعلى غرار السومريين فقد استوطن الاكديون القرى والمدن ومارسوا الزراعة وشتى صنوف الحرف كما انهم مارسوا المعتقدات والطقوس الدينية التي مارسها السومريون • وهناك حقيقة واضحة لدى الباحثين في تاريخ حضارة بلاد وادي الرافدين وهي اننا اذا ما استثنينا الجانب اللغوي فأن السومريين والاكديين انصهروا في بوتقة حضارة أصيلة واحدة حتى عاد من الصعب على المرء ان يميز بين ما هو سومري الاصل وبين ما هو اكدي •

سرجون الاكدي مؤسس الامبراطورية (٢٣٧١ ــ ٢٣١٦ ق•م) :ــ

يظهر من النصوص المسماوية ان سرجون الاكدي بدأ حياته العملية في مدينة كيش وانه كان احد مقربي الملك اور ــ زبابا في تلك المدينة • وتبقى الظروف غامضة عن كيفية استطاعته الاستيلاء على الحكم • ومن غير المستبعد ان سرجون بدأ حياته ساقيا في بلاط هذا الملك اذ جاء في احد النصـوص المسمارية المتأخرة ان الملك اور ــ زبابا أمر ساقيه سرجون بان « يغير جراية

الشراب المخصصة لمعبد ايساك ايلا في مدينة بابل غير ان الاخير لـم يفعل ذلك فنال خطوة عند اله المدينة العظيم مردوخ » الذي جعله سيدا للبـلاد وللعالم كله بدلا من اور ــ زبابا[٨] . وعلى اية حال ينبغي علينا ان نلاحظ ان سلالة كيش الاولى استمرت بعد اور ــ زبابا حيث خلفه خمسة ملوك في الحكم . ولذلك يبدو ان سرجون الاكدي في هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية كان مجرد مناوىء للسلطة الحاكمة في كيش وانه لم يقدم بعد على الانقضاض عليها واسقاطها .

لقد وصلنا نص مسماري[٩] دون في عصر متأخر نسبيا يتعلق بقصـة مولد مؤسس الامبراطورية سرجون يصف على لسانه كيف أن أمـه كـانت كاهنة عظمى وكيف انه تتلمذ على يد يستاني اسمه اكي الذي علمه فنـون البستنه وكيف ان الالهه عشتار اعجبت به فمنحته ملوكية البلاد . وفي ادناه نقتبس مقتطفات من هذا النص :

وجعلني الساقي أكي بستانيا عنده
وعندما كنت بستانيا منحتني عشتار حبها
فاضطلعت بمهمة الملوكية اربعا (واربعين) سنة
لقد سست وحكمت ذوي الرؤوس السود[١٠]
وقهرت الجبال الشاهقة بفؤوس قاطعة من البرونز
تسلقت القمم العليا
وعبرت القمم السفلى
وطوفت حول بلدان البحر ثلاث مرات
واستولت يداي على دلمون[١١]
فأي كان الملك من بعدي
فعسى ان يسوس ويحكم ذوي الرؤوس السود
ويقهر الجبال الشاهقة بفؤوس قاطعة من البرونز
ويتسلق القمم العليا

ويعبر القمم السفلى
ويطوف حول بلاد البحر ثلاث مرات
وتستولى يداه على دلمون
ويقصد مدينة الدير[١٢] العظيمة

يعتبر سرجون بحق واحدا من اعاظم القادة في التاريخ القديم لانجازاته العظيمة في الميادين العسكرية والادارية • واول ما قام به سرجون كان هجومه على مدينة الوركاء ودحره ملكها لوكال زاكيزي الذي جيىء به اسيرا الى معبد الاله انليل في مدينة نفر • ونفهم من النصوص المسمارية التي تروى اخبار هذا الملك انه استولى بعد ذلك على مدن مهمة اخرى مثل اور ولكش واوما وانه اتبع سياسة تدمير اسوار المدن من اجل القضاء على مراكز تجمع المناوئين لسلطته كما انه اقدم على حجز بعض عوائل الحكام المناوئين له كرهينة في العاصمة اكد •

وقد استطاع سرجون في غضون فترة قصيرة بسط نفوذه على كل بلاد سومر حتى ان احد النصوص المسمارية يلمح الى ذلك بقول مأثور « انه (أي سرجون) غسل سلاحه في مياه البحر السفلي » أي مياه الخليج العربي • ويذكر نص مسماري آخر عن اعمال سرجون العسكرية وعن انتصاراته على المدن السومرية ، انه خاض ثلاثا واربعين معركة وانه بنتيجة ذلك صارت « سفن ملوخا[١٣] وسفن دلمون ترسو في المرفأ امام مدينة اكد » وبتعبير اخر انه استطاع احكام سيطرته على الخليج العربي واصبح بمقدوره الحصول على منتوجات البلدان الواقعة عليه • وجدير بالذكر ان كتابات سرجون كانت تشير الى هذه المناطق الخليجية باعتبارها جزء من الامبراطورية الاكدية كما يتضح ذلك من بعض الاشارات في قصة مولده سابقة الذكر وفي القائمة الجغرافية الخاصة بالمواقع الاثرية التي شملتها فتوحاته العسكرية •

اتخذ سرجون عاصمة جديدة له عرفت بمدينة اكد ، وهي العاصمة الوحيدة بين عواصم العراق القديم التي ما يزال موقعها غير معروف لحد

الان • وقد بنى في هذه العاصمة الجديدة كما تشير الى ذلك كتاباته ، معبدا للالهة عشتار التي ادعى بانها هي التي منحته الحكم ، كما انه اقام معبدا للاله زبابا اله الحرب لمدينة كيش • وبطبيعة الحال فقد اصبحت اللغة الاكدية لغة البلاد الرسمية كما ان حكام المدن كانوا من الاكديين ايضا •

وبعد النصر الساحق الذي حققه على المدن السومرية اتجه سرجون الاكدي بفتوحاته اتجاهين اولهما غربي والاخر شرقي • ففي الغرب تذكر النصوص المسمارية من عصره انه استولى على مدينة اتو (هيت) ومارى (تل الحريري) وعلى غابات الارز (جبال امانوس) وجبال الفضة (جبال طوروس) ويارموتي (ميناء جنوبي يبلوس) وعلى مدينة ابلا في شمالي سوريا (بالقرب من كركميش) • ومن هذا يتضح ان سرجون استطاع ان يفرض سيطرته على مناطق الفرات وشمال سوريا • ويذكر نص عثر عليه في تل العمارنه عنوانه « ملك المعركة » ان سرجون الاكدي وصل الى مدينة بورش خندا في اواسط اسيا الصغرى منتصرا لجماعة من التجار اصابهم الظلم على يد احد الحكام هناك فاسرع سرجون لنجدتهم علما بان نوع العلاقة التي كانت تربط اولئك التجار بسرجون ما زالت غير معروفة(١٤) •

اما المناطق الشمالية من القطر والتي عرفت فيما بعد بلاد اشور فقد شملتها فتوحات سرجون • فهناك ادلة على ان مدينتي نينوى واشور كانتا تحت سيطرة الاكديين • كما وتدل النصوص الكتابية على وجود نسبة كبيرة من اسماء الاعلام الاكدية بين سكان مدينتي نينوى خلال العصر الاكدي • ثم ان العثور على تماثيل حجرية في الطبقات السفلى من معبد عشتار في نينوى تعود الى العصر الاكدي ربما فسر بانها كانت بمثابة شواهد تذكارية لطبقة حاكمة عينها الملوك الاكديون في بلاد اشور • واخيرا فان اكتشاف الرأس البرونزي المعروف في مدينة نينوى والذي ارجع تاريخه الى العصر الاكدي ، على اساس اسلوب صناعته ، ربما يعود الى أحد الملوك الاكديين ويرجح ان يكون سرجون او حفيده الشهير نرام ــ سين •

اما فتوحات سرجون الاخرى فقد كانت في المناطق الجبلية الشرقية والشمالية الشرقية من بلاد وادي الرافدين • وقد وصلتنا تفاصيل جيدة عنها في كتابات الملك سرجون نفسه وفي نصوص متأخرة ايضا • اذ تذكر كتاباته انه لاقى جيوش اربعة حكام بقيادة ملك « اوان » الواقعة في جنوب غربي ايران وانه استطاع دحرهم وقتل قائدهم • كما انه استولى على بلاد عيلام وعين عليها حاكما تابعا له • وكان من نتائج سيطرته على بلاد عيلام والاقاليم الاخرى من ايران ان تدفقت ثروات كبيرة على بلاد اكد • ان هذا الامتداد الواسع للامبراطورية الاكدية وفي اتجاهات متعددة كان قد عبر عنه سرجون نفسه في احد نصوصه عندما قال : « والان فاي كان الملك الذي يدعي انه نظير لي فليصل الى حيث وصلت انا » •

خلفاء سرجون :

خلف سرجون ابنه ريموش الذي حكم تسع سنوات وجاء من بعده اخوه الآخر مانشتوسو الذي حكم ثلاث عشرة سنة • ويبدو من قائمة الملوك ان الاخير كان الابن الاكبر لسرجون وعلى اية حال فقد بدأ الاخوان حياتهما في ممارسة شؤون الحكم في زمن ابيهما سرجون •

ويعتبر نرام ــ سين (٢٢٩١ ــ ٢٢٥٥ ق • م) بحق ثاني اشهر ملوك هذه السلالة العظيمة وواحد من الشخصيات البارزة في تاريخ العراق القديم • وقد بقي حكمه الطويل (ست وثلاثون سنة) مزدهراً حتى نهايته •

وصلتنا حوادث حكم الملك نرام ــ سين مدونة على نصوص مسمارية من عصره واخرى دونت في عصور لاحقة اضافة الى المنحوتات الحجرية التي تصور انتصاراته على اعدائه •

وتتميز الوثائق المسمارية من عصر هذا الملك بامرين جديدين • الاول انه استعمل بالاضافة الى لقب « ملك اكد » لقبين آخرين هما « ملك الجهات الاربع (شار كبرات اربعيم) وملك العالم (شاركشتي) ، وهما يشيران من دون شك الى سعة الامبراطورية وتوحيدها في عصره • والامر الجديد الثاني

هو استخدام علامة الالوهية (النجمة) في كتابة اسمه على غرار اسماء الآلهة. كما ان بعضاً من اتباعه كتبوا على اختامهم الاسطوانية عبارات تعزو اليه الالوهية مثل « اله اكد » . وبطبيعة الحال فان مثل هذا الاتجاه نحو تاليه الملك يخالف كليا الفكرة السومرية القديمة التي كان يقوم عليها الحكم والتي تعتبر الحاكم او الملك مجرد ممثل للالهة في حكم البشر كما يخالف الاتجاه الحضاري العام في بلاد وادي الرافدين .

والجدير بالملاحظة ان هذه البدعة ، أي اضفاء الالوهية على الملك ، استمرت بعد نرام ــ سين ولكن على نطاق ضيق جدا وخاصة في زمن سلالة اور الثالثة وعصر ايسن لارسه ولكنها لم تظهر بين الملوك الآشوريين .

بدأ نرام ــ سين حكمه مثل غيره ممن سبقه في اخضاع بعض المدن التي خرجت على الطاعة . اذ يذكر نرام ــ سين ان حركة عصيان ظهرت في البلاد وقد تزعمتها مدينة كيش كما يذكر اسماء اكثر من عشرين متآمرا من حكام المقاطعات المختلفة التي شملت رقعة واسعة من الامبراطورية ابتداء من بلاد الانضول في الحدود الشمالية الغربية الى مكان في الخليج العربي .

ولاشك في أن اعادة اخضاع هذه الاجزاء استلزم حملات عسكرية متعددة كما استلزم وقتا وجهدا كبيرين .

لقد سلكت الحملات العسكرية لنرام ــ سين باتجاه الغرب طريق الفرات ابتداء بمدينة مارى (تل الحريري) ومرورا بمدينة ارمانو (ربما حلب) ثم مدينة ابلا (بالقرب من كركميش) ويذكر نرام ــ سين انه اسر حاكم ارمانو ريش ــ ادد (وربما كان حاكما على ابلا ايضا) والذي صور وهو اسيراً على منحوته اهديت الى اله القمر سين . كما تذكر كتاباته انه اخضع جبال الارز وعرفها بكونها « جبال امانوس » . وهناك من الادلة الكتابية ما يشير الى ان نرام ــ سين ، على غرار جده سرجون ، قد فرض سيطرته على بعض المناطق في جنوب شرقي اسيا الصغرى وكشفت التنقيبات في ديار بكر

على الخابور عن قصر اقامة نرام ـ سين للسيطرة على الطريق التجاري الممتد الى منطقة الجزيرة كما عثر على مقربة من مدينة ديار بكر على مسلة نحت عليها رسمه . ولا شك في ان نرام سين استطاع فرض سيطرته ايضا على بلاد اشور حيث لقب نفسه بلقب « حاكم سوبارتو » بلاد اشور فيما بعد .

أما في الجزء الجنوبي من الامبراطورية فيذكر نرام ـ سين في احدى كتاباته انه زحف ضد « مكان » (بلاد عمان) وألقى القبض على ملكها المسمى Mandannu وقد خاض نرام ـ سين معارك ضارية ضد القبائل المعروفة بـ « لولو » او « لولوبو » في المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية من وادي الرافدين وخلد انتصاراته عليهم في منحوته جبلية على الجانب المنحدر لمر (دربندي كاور) في جبل كره داغ الى الجنوب من السليمانية . ويتكرر موضوع هذه المنحوتة الجبلية على المسلة المعروفة بمسلة النصر للملك نرام سين نفسه التي عثر عليها في سوسة والتي تصور الملك الاكدي حاملا القوس والرمح ولابسا خوذة ذات قرنين وهو يصعد جبلا شاهق القمة وقد تساقط تحت قدميه عدد من قتلى الاعداء . وتذكر الكتابة التي على المسلة انها تصور انتصار الملك الاكدي نرام ـ سين على ساتوني ملك لولوبي . والمعروف عن هذه المسلة انها كانت من جملة الغنائم التي أخذها العيلاميون الى بلادهم بعد غزوهم البلاد في نهاية حكم الكاشيين .

ومن المؤكد ان نرام ـ سين انجز ما يمكن تسميته بالادارة المركزية للامبراطورية وهذا النوع من الحكم المركزي للبلاد لم يكن موجودا في عهد دويلات المدن السومرية فمن الناحية الاقتصادية تذكر بعض النصوص المسمارية ان اصنافا من السلع الثمينة كانت تتدفق على العاصمة اكد من جميع اجزاء الامبراطورية وان حكام الولايات كانوا يبعثون بجزيتهم الشهرية والسنوية . وطبقت فكرة الحكومة المركزية ايضا من خلال تعميم تقويم موحد لكل البلاد في زمن السلالة الاكدية ، في حين كانت دويلات المدن السومرية تستعمل تقاويم مختلفة .

وكدليل على العظمة والوحدة السياسية للبلاد فقد استخدم لقب جديد في عهد هذه السلالة وهو لقب ملك الجهات الاربع • واذا ما عرفنا ان هذا اللقب كان ينعت به بعض العظماء من الالهة امثال آنو وانليل ادركنا ان ملوك السلالة الاكدية اعتبروا انفسهم ممثلين للالهة في حكم البلاد واخيرا فقد حلت اللغة الاكدية محل اللغة السومرية فاصبحت لغة البلاد الرسمية في كافة الشؤون والمجـالات •

من كتابات الملك سرجون الاكدي :

[هذا النص والذي يليه كانا بين نصوص عديدة وجدت مدونة على رقيم طيني كبير يتكون من اربعة عشر عمودا جمع فيه الناسخ الاكدي نصوصا متفرقة مما كان مدونا على التماثيل والاشـياء النذرية الاخـرى التي كانت موجودة في معبد الاله انليل في نفر • ويتضمن هذا الرقيم نماذج من كتابات لوكال زاكيزي ملك الوركاء (الذي قضى عليه سرجون الاكدي) وكتابات ملوك السلالة الاكدية : سرجون وريموش ومانشتوسو] : ـ

١ ـ سرجون ملك اكد ، ناظر الالهة عشتار ، ملك كيش ، كاهن الاله آنو ملك السماء ، الحاكم العظيم للاله انليل ، دحر مدينة الوركاء وهـدم سورها • لقد كان هو المنتصر في الحرب مع سكان الوركاء ، اذ اسر لوكال زاكيزي ، ملك الوركاء ، أثناء المعركة وجاء به والطوق (في عنقه) الى بوابة الاله انليل •

سرجون ملك اكد كان المنتصر في الحرب مع سكان اور • اذ دحر مدينتهم وهدم سورها • ثم دحر مدينة اي ـ ننمار وهدم سورها • وبالمثل فانه دحر الاراضي الممتدة من لكش حتى البحر • وعندئذ غسل سلاحه في البحر • لقد كان المنتصر في الحرب مع سكان اوما ، اذ دحر مدينتهم وهدم سورها •

ولم يمكن الاله انليل ايا كان من الوقوف بوجه سرجون ملك البلاد. لقد اعطاه الاله انليل المنطقة من البحر العلوي الى البحر السفلي. وصار الاكديون يمسكون بزمام الحكم من البحر السفلي فصاعدا . وصارت ماري وعيلام تقف بخشوع امام سرجون ملك البلاد . لقد اعاد سرجون ملك البلاد بناء مدينة كيش وامر سكانها بحيازة مدينتهم ثانية .

عسى الاله شمش ان يحطم قوة كل من يخرب هذا النص وان يقضي على ذريته .

كان هذا نص على قاعدة (التمثال) سرجون ملك البلاد .

٢ ـ ... كان سرجون ، ملك كيش هو المنتصر في ٣٤ حملة عسكرية وجرد كل المدن من وسائل دفاعها حتى ساحل البحر . وفي مرفأ مدينة اكد جعل السفن ترسو من ملوخا ومكان ودلون . الملك سرجون سجد مصليا امام الاله دكان في توتل فاعطاه المنطقة العليا : ماري ، يارموتي وابلا حتى غابات الارز وجبال الفضة . ولم يمكن الاله انليل أيا كان من الوقوف بوجه سرجون ، الملك الذي كان يأكل في بلاطه ٥٤٠٠ جندي في اليوم .

عسى الاله آنو يحطم اسم كل من يخرب هذه الكتابة وان يقضي الاله انليل على ذريته ..

كان هذا نص على تمثال كانت قاعدته غير مكتوبة .

٣ ـ سرجون ... ماذا كتب عنه احد المؤرخين البابليين المتأخرين ؟

(نقتبس في ادناه فقرات مما كتب احد المؤرخين في العصر البابلي الحديث عن الملك سرجون الاكدي الذي تفصله عنه حقبة زمنية طويلة تقرب من الف وسبعمائة وسبعين عاما) :ـ

جاء سرجون الى الحكم في « عصر عشتار » ولم يكن له ند ولا منافس لقد نشر سناه المهيب فوق كل البلدان • فهو الذي عبر البحر الى الشرق ودحر البلدان في الغرب الى ابعد مدى في السنة الحادية عشرة من حكمه • فأقام هناك حكومة مركزية ونصب مسلته في الغرب • وجاء بغنائم (من بلدان الغرب والشرق) محمولة على الاكلاك • وجعل موظفي بلاطه (ينتشرون من حول قصره) مسافة خمسة اميال مضاعفة لقد سيطر على كافة البلدان دونما استثناء •

ثم سار ضد كزالا فاحال كزالا الى اكوام من انقاض حتى انه جاء على كل وكر لطائر فيها •

وبعد ذلك وفي ايام شيخوخته تارث كل البلدان ضده فحاصروه في مدينة اكد • ولكن سرجون قام بهجوم مضاد فدحرهم واطاح بهم وحطم جيشهم الكبير • وفيما بعد تارث بلاد سوبارتو بحشودها الغفيرة ولكنها سرعان ما انحنت امام قوته العسكرية •••

مراجـع وملاحظـات

(١) D.O. Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babylonien (1957), PP. 1 ff.

(٢) وهؤلاء حسب تسلسلهم في الحكم :

٢ ـ پالا كيناتم	(Pala- Kinatim)
٦ ـ پو ـ آنم	(Buanum)
٧ ـ كالبوم	(Kalibum)
٨ ـ قلومم	(Qalumum)
٩ ـ زقاقب	(Zuqaqip)
١٠ـ اتاب	(Atab)
١١ـ مشـــدا	(Mashda)
١٢ـ اروئم	(Arwi'um)
١٤ـ باليخ	(Balikh)
١٩ـ ثزكار	(Tizkar)
٢٠ـ الكـوء	(Ilku')
٢١ـ ايلتا ـ سادم	(Ilta-Sadum)

اما بخصوص قائمة الملوك السومرية فانظر :

Jacobsen, The Sumierian King List (= Assyriological Studies No. 11) Chicago, 1939.

(٣) لا شك في « ميسلم » ملك كيش كان من القوة بمكـان بحيث انه استطاع فرض تسوية على مدينتي لكش واوما كل نزاعمها حول الاراضي الزراعية وخاصة المنطقـة المعروفـــة گو ـ ادينـا Gù-edinna

ومعروف ايضا ان كلا من ايناتم أمير لكش ولوكال زاكيزي ملك الوركاء ادعيا بحصولهما على « ملوكية البلاد » دلالة على تحقيق السيطرة الكاملة على بلاد سومر الا ان ذلك لم يدم الا لفترة قصيرة من الزمن . حول مزيد من التفاصيل عن الكتابات المسمارية بهذا الخصوص انظر :

Edzard, Op. Cit., P. 2.

(٤) حول هذه النقطة بالذات انظر :

Gadd, The Cambridge Ancient History (Third edition, Vol 1, Part 2, 1971) p. 422.

(٥) من الامثلة على ذلك نذكر ما فعلته قبائل مارتو (الاموريون) عندما قطعوا ، بسبب ضغطهم المتواصل على المدن السومرية ، المؤن الغذائية عن العاصمة اور في نهاية حكم الملك ابي ـ سين وكانوا عاملا اساسيا في اسقاط سلالة اور الثالثة . وبالمثل فقد فرضت القبائل الارامية الحصار على الاشوريين في العصر الاشوري الوسيط وكادوا يقضون على كيانهم خلال القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد .

(٦) كان هذا الموضوع محور نقاش بيننا وبين عدد من السادة الزملاء الاساتذة بقسم الاثار (كلية الاداب) في مناسبات عديدة خلصنا من خلالها الى خطأ هذه التسمية (الساميين) والى ضرورة ايجاد بديل يحل محلها . وقد سبقنا الاستاذ طه باقر فثبت اعتراضه على مصطلح (الساميين) في كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ ص ٦٥) عندما قال ما نصه : « ولو اننا اسمينا هذه اللغات بلغات الجزيرة ، او اللغات العربية والاقوام السامية بالاقوام العربية او اقوام الجزيرة لكان ذلك اقرب الى لصواب ، ولكن أختصاص اولئك الاقوام السامية كل منهم باسم خاص مثل الاكديين والبابليين والعرب والعبرانيين وغيرهم يجعل اطلاق تسمية عرب على كل منهم لا يعبر عن المدلول التاريخي الدقيق » .

وكان بودنا ان يقدم الزميل الدكتور لطفي عبدالوهاب رئيس قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية هو الاخر بديلا عن مصطلح الساميين من خلال مناقشته لفرضية شلويتسر صاحب هذه التسمية ولكنه استعمل المصطلح نفسه على علاته على الرغم من انه افرد له ولمدلولاته التاريخية بابا كاملا من ص ٤٠ ـ ٨٧ في كتابه الاخير والموسوم العرب في العصور القديمة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

(٧) حول مزيد من التفاصيل انظر : الدكتور لطفي عبدالوهاب ، المرجع نفسه ص ٧٤ ـ ٧٧ .

(٨) Gadd, Op. Cit., p. 419.

(٩) حول هذا النص انظر :

Pritchard (editor), Ancient Near Eastern Texts (1955), P. 119.

اما بخصوص ترجمة النص الى العربية ، فانظر بحثنا الموسوم « بين الواح سومر وسفر التكوين » ، مجلة كلية الاداب ، العدد الثالث والعشرون (اصدار خاص) ١٩٧٨ ، ص ٢٢ — ٢٤ .

(١٠) مصطلح شائع الاستعمال في النصوص المسمارية ويقصد به « الناس ، الشعب » بصورة عامة .

(١١) البحرين .

(١٢) آثارها تعرف الان بـ « تلول العقر » قرب بدرة على الحدود الشرقية لبلاد وادي الرافدين .

(١٣) ربما تدل على بلاد الهند .

(١٤) من المعروف ان المعادن كانت مادة اساسية لصنع السلاح وغيره من الاحتياجات اليومية على اختلاف انواعها . وباستثناء مادة القير والمنتجات الزراعية التي كانت انذاك متوفرة في القطر ، فقد كان لزاما البحث عن مصادر للثروة المعدنية . فالنحاس كان يستورد اول الامر من بلاد القوقاس (ربما من اقليم اذربيجان في ارمينا) قبل ان تكتشف له مصادر اخرى في انضوليا (اسيا الصغرى) وفي مكان (عمان حاليا) . اما القصدير فكان يستورد من ايران او ربما من افغانستان في العصور القديمة قبل ان يحصل عليه الفينيقيون من اسبانيا في الالف قبل الميلاد . وكانت الفضة تستورد من جبال طوروس والذهب من مصر والهند . كما اشتهرت مكان (أي عمان) باحجار الديوريت السوداء التي كان يصنع منها التماثيل والمسلات . اما الخشب فكان الحصول عليه من جبال زاكروس ومن جبال الارز في لبنان بالاضافة الى شمال القطر .